المجاز المرسل في شعر ابن زيدون

قراءة تحليليّة نصّيّة

أ.د تيسير جريكوس*

د. محمّد مسعود**

ديما محمد***

ملخّص:

كانَ ابنُ زيدون منَ الشّعراءِ البارزينَ في الأندلسِ، أبدعَ في قولِ الشّعرِ فجاءَتْ قصائدُهُ معبّرةً عمّا يدورُ في خلجاتِ نفسِهِ بطرقٍ تصويريّةٍ مؤثّرةٍ، وكانَ ابنُ زيدون مصوّراً ماهراً صاغَ عباراتِهِ في تراكيبَ لغويّةٍ اتّجهَ فيها نحوَ المجازِ لما لهُ من قدرةٍ على التّأثيرِ؛ فالمجازُ عندَ ابن زيدون أسلوبٌ مهمٌّ في التّعبيرِ اللّغويّ، وهو وسيلةٌ لرسمِ صورٍ تنضحُ بالحياةِ، يعبّرُ من خلالِها عن أحاسيسِهِ وانفعالاتِهِ، تعينُهُ في ذلك ملكةُ الخيالِ الّتي تخلقُ الصّورَ الفنّيّةَ ذات الطّبيعةِ الإيحائيّةِ فتكسوها جمالاً يجذبُ إليهِ النّفوس وتطمئنُ له القلوب، فدراسةُ الصّورةِ هي المعين لنا لإظهارِ أهميّةِ المجازِ وبلاغتِهِ في قصائد ابن زيدون، تلك القصائد الّتي تميّزتْ بجودةِ الأداءِ ودقّةِ التّصويرِ.

الكلمات المفتاحيّة: المجاز المرسل، الدّلالة، ابن زيدون.

* أستاذ، قسم اللّغة العربيّة، جامعة تشرين، اللّاذقيّة_ سوريا.

** دكتور، قسم اللّغة العربيّة، جامعة الفرات، سوريا.

***طالبة دكتوراه، قسم اللّغة العربيّة، جامعة تشرين، اللّاذقيّة_ سوريا.

The metaphor sent in the poetry of Ibn Zaydon, an analytical textual reading

***Dr_ Tayseer Grikos**

****Dr_ Mohammad Masood**

*****Dima Mohammad**

Abstract:

Ibn Zaydon was one of the prominent poets in Andalusia. He excelled in saying poetry, so his poems express what is going on in obsession himself in influential figurative ways. An important method of linguistic expression, and it is a means of drawing pictures that breathe life, through which he expresses his feelings and emotione. He is assisted by the imagination that creats artistic images of a suggestive nature, thus covering them with beauty that attracts souls and reassures him of hearts. Studying the picture is what helps us to show the importance and eloquence of the metaphor in the poems of Ibn Zaydun, those poems that were distinguished by the quality of performance and shooting accuracy.

Key words: metaphor, indication, Ibn Zaydun.

*Professor, Department of Arabic language, Tishreen university, Latakia_ Syria.

**Doctor, Department of Arabic language, Al_Furat university, Syria.

***Phd student, Department of Arabic language, Tishreen university, Latakia_ Syria.

مقدّمة:

تفنّن شعراء الأندلس في قول الشّعر، وقد انعكسَ جمال طبيعتهم على قصائدهم، فتفتّقت قرائحهم عن جميل الشّعر وبديعه، فقدّموا أفكارهم بأسلوب بلاغيّ تصويريّ مختلف عمّا عهدناه عند غيرهم من الشّعراء، وكان انعكاس هذا الأسلوب أكثر وقعاً في النّفس من التّعبير المباشر التّقليديّ، وهذا ما برع فيه ابن زيدون؛ إذ تمكّن من استغلال اللّغة والاستفادة من طاقتها لتشكيل صوره البيانيّة، وكان لهذا عظيم الأثر في جذب اهتمام المتلقّي لشعره لما يجده في شعره من جودة في التّعبير وبراعة في التّصوير، مستنداً في ذلك إلى حسٍّ فنيّ وخيال مبدع، وهذا ما يمهّد الطّريق لمقاربة النّصّ الشّعريّ والانفتاح على فضاءاته، لأنّ دراسة الصّورة البلاغيّة خير وسيلة لدخول محراب الشّعر، فمن المثير أن نتعرّف آفاق صوره الجماليّة الّتي كان عمادها خيال المبدع والّتي اتّجه فيها نحو المجاز الّذي أولاه عناية كبيرة وهذا ما منح تجربته حيويّة وفاعليّة.

وابن زيدون هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون، وُلِد في قرطبة وتثقّف فيها، وأسلس له الشّعر قياده، وهو في العشرين من عمره، كان ابن زيدون كاتباً وشاعراً، وكان يلقّب ببحتريّ الغرب تشبيهاً له ببحتريّ الشّرق في روعة ديباجته وسموّ خياله وحسن فنّه، غير أنّه يتميّز عن بحتريّ الشّرق بجمال وصفه للطبيعة، وإشراكه إيّاها في شعوره ولواعج شوقه، وألمه من فراق ولّادة، كما أنّه يتميّز بنعومة غزله وبراعته في تصوير اختلاجات نفسه ولوعته، ومزجه الغزل بوصف الطّبيعة، ولا ريب أنّ لحبّ ولّادة وحرمانه منها أثراً عميقاً في شعره، بما حباه من رقّة عاطفة وحنين وشكوى، وبما ألهمه من تعبير عميق عن إحساساته حتّى تبوّأ زعامة الغزل في أيّامه، وكان له شعراً في العتاب والمدح والرّثاء وغيرها[1].

هدف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن الدّلالات الإيحائيّة لصور المجاز المرسل في شعر ابن زيدون لتوضيح التّرابط بينها وبين بلاغة النّصّ من خلال التّوغّل في أعماقه لبيان

[1] يُنظر: البسانيّ، كرم، 1951م_ شعر ابن زيدون. مكتبة صادر- بيروت، ص3_4_5.

إيحاءاته المضمرة في بعض القصائد المختارة من شعره.

منهج البحث:

اعتمد منهج الدّراسة على الوصف والتّحليل النّصّيّ، فيتمّ وصف الظّاهرة وصفاً دقيقاً لتوضيح خصائصها، ومن ثمّ محاولة الوصول إلى المعطيات البلاغيّة ذات السّمات الخلّاقة لشعر ابن زيدون.

أوّلاً: المجاز المرسل وأنواعه:

يؤدّي المجاز المرسل دوراً مهمّاً في الإيحاء النّصّيّ من خلال التّوسّع في نقل الألفاظ من معناها الوضعيّ إلى معانٍ جديدة تعدّ انزياحاً أو انحرافاً أو عدولاً عن الأصل. ولقد كثرت العلاقات في المجاز المرسل والمرجع في فهمها يعود إلى الكلام نفسه، وهذا يمنح المجاز المرسل قدرة على إضافة دلالات جديدة حسب خبرات المتكلّمين؛ لأنّ المجاز هو حريّة استخدام الكلمات الّتي هي رموز الأشياء، وهو توسّع في التّناول لابتكار الشّيء الجديد، ولإبراز روح الشّاعر وقدرته على التّخيّل، فهو من أجمل فنون التّعبير وأبدعها، ولابدّ في المجاز من وجود رابط بين الاستعمال المألوف والاستعمال غير المألوف، وللفنّان مبرّراته في ذلك حسب واقع الموضوع الشّعريّ وطبيعته، وحسب ثقافة الأديب وتجربته الفنّيّة الّتي يصوغ بناءً عليها مجازاته اللّغويّة.

والمجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التّشبيه، وذلك مثل لفظة (اليد) إذا استُعملت في معنى (النّعمة)؛ لأنّ من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها[2].

"وقد سمّاه البلاغيّون مجازاً مرسلاً لإرساله عن التقّييد بعلاقة المشابهة... ومثال هذا (اليد) في معنى (القدرة)؛ لأنّ أكثر ما يظهر سلطان القدرة في اليد، وبها يكون البطش والضّرب والقطع والأخذ والدّفع والوضع والرّفع، إلى سائر الأفعال الّتي تنبئ عن وجوه

[2] يُنظر: القزويني، الخطيب، 2003م- الإيضاح في علوم البلاغة. ط1، دار الكتب العلميّة- بيروت، ص205.

القدرة ومكانها" [3].

والمجاز المرسل أسلوبٌ لغويّ يحثّ على معرفة الدّلالة المنزاحة عن المعنى الظّاهريّ للكلام، ومن ذلك قولهم:(ضربته سوطاً)؛ وهنا عبّروا عن الضّربة الواقعة بالسّوط باسم السّوط فجعلوا أثر السّوط سوطاً. وتفسيرهم له بقولهم: المعنى ضربته ضربة بالسّوط، بيانٌ لما كان الكلام عليه في أصله[4].

وفيه يعبر اللّفظ من مدلوله الأصليّ إلى مدلوله المجازيّ عن طريق صلة تجمع بينهما يبصرها الذّهن فيهتدي بها إلى تحليل الخطاب المقبول[5]. فالكلمة أو الصّورة هنا لم تعد عاديّة باردة بل أصبحت تتضمّن عنصر المفاجأة ومن خلالها يتمكّن الشّاعر من إعطاء بعد جديد للشّعر العربيّ.

ومن أمثلة المجاز المرسل قولهم لربيئة القوم*: عين؛ حيث كانت هي المقصودة منه وكأنّها الشّخص كلّه، ويقال له العين إذ بعينه ينظر، وقيل له عين؛ لأنّه يرعى أمورهم ويحرسهم لئلا يدهمهم عدوّ" [6].

فَسِرُّ جمال المجاز المرسل هو الإيجاز والدّقة في اختيار العلاقة مع المبالغة المقبولة، وإنّ من أهمّ أسباب جماليّات المجاز المرسل في الكلام أن تتضمّن ألفاظه معاني لم تُعهَد منها، وتأتي لتعبّر عن أفكار قد لا يفصح عنها اللّفظ في أصل استعماله ولا في تكراراته البلاغيّة العرفيّة التّقليديّة، وهنا تكمن بلاغة التّعبير بالمجاز المرسل.

ومن علاقات المجاز المرسل:

1- تسمية المسبَّب باسم السَّبب: يجري هنا استعمال اللّفظ الدّالّ على السّبب وتراد به نتيجته، فنذكر السَّبب ونريد المسَّبب، نحو: (ما زلنا نطأ الغيث حتّى أتيناكم).

[3] عتيق، عبد العزيز، 1985م_ في البلاغة العربيّة علم البيان. دار النّهضة العربيّة، بيروت، ص157.
[4] يُنظر: الصّعيديّ، عبد المتعال، 1999م_ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. ج1، مكتبة الآداب، القاهرة، ص81.
[5] يُنظر: قاسم، محمد_ ديب، محي الدّين، 2003م_ علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني). ط1، المؤسّسة الحديثة للكتاب، لبنان، ص216.
[6] يُنظر: ابن مالك، بدر الدّين، تح: يوسف، حسني، المصباح في المعاني والبيان والبديع. مكتبة الآداب، ص125.

لقد قلنا: (الغيث) ونحن نريد العشب المُسَبَّب عن الغيث، ورد في هذا القول مجاز مرسل؛ لأنّنا ذكرنا السَّبب (الغيث)، وأردنا المُسَبَّب (العشب)، فالعلاقة سببيّة والقرنية (نطأ)، والارتباط بين الغيث والعشب خارجيّ؛ لأنّ لكلّ منهما حقلاً دلاليّاً مستقلّاً.

2- تسمية السَّبب باسم المسبَّب: يرد اللّفظ الدّالّ على المسبَّب ويُراد به سببه، فالمعنى الحقيقيّ ناتجٌ عن المجازيّ المراد، وتُذكر فيها النّتيجة أو المسَبَّب ونحن نريد السّبب الّذي أدّى إليه، نحو: (أمطرت السَّماءُ نباتاً) فذكر النّبات، وأراد الغيث؛ لأنّ الغيث سبب النّبات، وهو عكس ما قبله والقائل استغنى بذكر المسَبَّب عن ذكر السَّبب، وكذا قوله تعالى: "ويُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزقاً" غافر/13.

3- الكّليّة: وهذا يعني تسمية الشّيء باسم كلّه، وذلك فيما إذا ذُكر الكلّ وأريد الجزء، نحو قوله تعالى: "قال ربِّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً، فلم يزدهم دعائي إلّا فراراً وإنّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم" نوح/7.

فموضع المجاز في الآية الكريمة هي (أصابعهم)، فقد أُطلقت وأُريد أناملها أو أطرافها؛ لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يضع إصبعه كلّها في أذنه، والغرض منه هنا هو المبالغة في الإصرار على عدم سماع الحقّ بدليل وضع أصابعهم في آذانهم، ومنه: (قطعت السّارق) أي: قطعت يده.

4- الجزئيّة: يرد اللّفظ الدّالّ على الجزء ويُراد به الكلّ، نحو قوله تعالى: "فَكُّ رقبةٍ" البلد/13. فالآية أتت على تحرير الرّقيق وعنت بـ (فكّ رقبة) تحرير العبد، فالرّقبة جزء من العبد، والآية أرادت العبد كلّه لا رقبته وحدها، لذلك كان في الآية مجاز مرسل علاقته الجزئيّة[7].

5- العموميّة: (إطلاق الاسم العامّ وإرادة الخاصّ): وهي استعمال اللّفظ الدّالّ على العموم لشيء يكون من مشتملاته، نحو: "والشّعراء يتبعهم الغاوون" الشّعراء/224. فالآية

[7] يُنظر: السّبكي، بهاء الدّين، 2003م- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. تحق: د. هنداوي، عبد الحميد، ج2، ط1، المكتبة العصريّة- بيروت، ص 133-134-135-136-139-140.

لم تعنِ عموم الشّعراء؛ لأنّه جاء بعدها استثناء لبعضهم "إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات" الشّعراء:227[8]

6-تسمية الشّيء باسم محلّه: يُذكر اللّفظ الدّالّ على المحلّ ويُراد ما حلّ به، نحو: (ركبت البحرَ) فأنت لم تركب البحر وإنّما ركبت السّفينة الّتي تمخر عبابه، وكقوله تعالى: "واسأَلِ القَرْيَةَ" يوسف/82؛ أي: اسأل سكّان هذه القرية.

7-إطلاق اسم الحالّ على المحل: يرد اللّفظ الدّالّ على الحالّ ويُراد به المحلّ كقوله تعالى: "وأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ" آل عمران/107: أطلقت الرّحمة وهي حالّة على محلّها وهي الجنّة[9].

8- المجاورة: المقصود بها التّعبير بالمجاور عمّا جاوره، ويكون ذلك حين يكون المعنى الحقيقيّ للفظ المذكور مجاوراً للمعنى المجازيّ، فنسمّي الشّيء بما يجاوره، كقولنا: (أصاب بالرّمح ثيابه): والثّياب تطلق على القلب والنّفس والجسد؛ أي طعن جسده[10].

9-تسمية الشّيء باسم ما كان عليه: وتكون هذه الحالة عندما نستعمل كلمة تطلق على ما كان عليه الشّيء ونحن نقصد ما آل إليه بعد ذلك، كقوله تعالى: "وآتوا اليتامى أموالهم" النّساء/2، ففي كلمة (يتامى) مجاز مرسل؛ لأنّه ذكر ما كان وهو يريد ما آل إليه اليتامى من بلوغهم سنّ الرّشد؛ لأنّ الرّشيد لا يسمّى يتيماً، وتردّ له مستحقّاته الماليّة عندها.

10-تسمية الشّيء باسم ما يؤول إليه: فنسمّي الشّيء بما يكون. كقوله تعالى: "قال أحدَهُما إنّي أرَاني أعصرُ خَمْراً" يوسف/36.

[8] يُنظر: قاسم، محمد_ ديب، محي الدّين، علوم البلاغة. ص225.
[9] يُنظر: السّبكي، بهاء الدّين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ص 138-139.
[10] يُنظر: قاسم، محمد_ ديب، محي الدّين، علوم البلاغة ص228.

فكلمة (خمراً) مجاز مرسل، والآية تريد ما كان عليه الخمر قبل العصر (العنب)، فذكرت ما يكون عليه بعد العصر (الخمر).[11].

11-الآليّة: (تسمية الشّيء باسم آلته): يرد فيها اللّفظ الدّالّ على الآلة أو الأداة ويُراد بها أثرها أو ما ينتج عنها، نحو قوله تعالى: "واجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخرِينَ" الشّعراء/84؛ أي ذكراً حسناً؛ فأطلق اسم الآلة وهو اللّسان على الذّكر[12].

يؤدّي المجاز المرسل من خلال هذه العلاقات دوراً مهمّاً في بلاغة التّعبير؛ لأنّه يبعث على التّأمّل ويفتح المجال واسعاً أمام الخيال، فهو يشحن الألفاظ بدلالات جديدة من غير إماتة المعنى الحقيقيّ. والصّورة فيه تطوي وراءها أحياناً مزيداً من الإحساس بالصّورة المقصودة؛ لأنّه يوسّع دائرة الإيحاء ويساعد على التّركيز لفهم الحذف الحاصل في أوجه المجاز وعلاقاته بمساعدة القرائن اللّفظيّة أو المعنويّة الّتي تعين على اكتشاف المعنى المقصود[13].

ومثاله قول أبي فراس الحمدانيّ:

سَتَذكُرُ أَيّامي نُمَيرٌ وَعامِرٌ وَكَعبٌ، عَلى عِلّاتِها، وَكِلابُ[14]

نلحظ في هذا البيت انزياحاً دلالياً مجازيّاً مرسلاً في (ستذكر أيّامي نمير وعامر وكعب... وكلاب) فهو ذكر أسماء القبائل، ولكنّه عدل عن هذا المعنى وقصد أهل القبائل، وهدفه من هذا المجاز المبالغة والافتخار بنفسه وببطولاته، فالشّاعر هنا ذكر القبائل وأراد أفرادَها المنتمين إليها. فمن خلال هذه العلاقات يؤدّي المجاز المرسل دوراً مهمّاً في شعريّة الأداء الفنّيّ، وفي بلاغة التّعبير.

[11] يُنظر: السّبكي، بهاء الدّين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ص138.
[12] يُنظر: السّبكي، بهاء الدّين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ص139.
[13] يُنظر: قاسم، محمد_ ديب، محي الدّين، علوم البلاغة. ص228-230-231.
[14] إبراهيم، عبّاس، 1994م- شرح ديوان أبي فراس الحمداني. ط1، دار الفكر العربيّ، بيروت، ص22.

ثانياً: نماذج تطبيقيّة على صور المجاز المرسل من شعر ابن زيدون:

تظهر بلاغة الشّاعر في توظيفه للصّور المجازيّة عندما ينسج قصائده على نحو جماليّ معبّر، فبدا المجاز المرسل _الّذي يندرج تحت باب علم البيان_ علامة أسلوبيّة فارقة في شعر ابن زيدون، وسمة ظاهرة في شعره، وهذا ما مكّنه من التّعبير عن ذاته مبرزاً قدرته على اللّجوء إلى الانزياح.

ومن المجاز المرسل قول ابن زيدون من قصيدة أرسلها إلى ولّادة بنت المستكفي الّتي كان يعشقها، يسألها فيها أن تدوم على عهده ويتحسّر على أيّامهما:

أضْحَى التَّنائي بَديْلاً مِنْ تَدانينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيانا تَجَافِينَا

ألا! وقد حانَ صُبْحُ البَينِ صَبّحنَا حَيْنٌ فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعِينَا

بِنْتُمْ وَبِنّا فَما ابتلّتْ جَوَانِحُنا شَوْقاً إليكُمْ وَلا جفَّتْ مآقِينَا

نَكَادُ حِينَ تُناجِيكُمْ ضَمائرُنا يَقضي علينَا الأسَى لَوْلا تَأسّينَا

حَالَت لِفَقدِكُم أيّامُنا فغَدَتْ سُوداً وكانتْ بكُم بيضاً ليَالينَا [15]

يستهلّ الشّاعر قصيدته بالتّحسّر على ما آلت إليه حاله، فقد ساد التّباعد المؤلم بينهما، وحلّ الجفاء والهجر مكان الوصل الّذي كان يربطهما، وهذا ما كان سبباً في هلاكه، وتبدّلت حياته وبقي السّواد مخيّماً على لياليه بعد أن كانت بيضاء أيّام الوصل مع ولّادة.

يظهر المجاز المرسل هنا في قوله: (جوانحنا) من خلال علاقته المحلّيّة؛ فيذكر المحلّ (الجوانح) وهي الأضلاع القصيرة والمراد ما يحلّ فيه وهو القلب.

وفي قوله: **(حالت لفقدكم أيّامنا فغدَت سُوداً وكانتْ بكم بيضاً ليالينا)**

[15] سنده، عبد الله، 2005م- ديوان ابن زيدون. ط1، دار المعرفة، بيروت، ص11-12.
الحين: الهلاك. النّاعي: المبلغ بالموت. مآقي: ج مأق: مجرى الدّمع من العين. أسّاه تأسية: عزّاه تعزية.

مستخدماً علاقة المجاز المرسل بعلاقته المسبَّبيّة، وفيها يتمّ ذكر النّتيجة (المسبّب) والمراد السّبب ألا وهو هنا المحبوبة؛ إذ غدت اللّيالي سوداء مظلمة، ظلمة اللّيل وظلمة الحزن على المحبوبة، بعد أن كانت بيضاء بالسّهر والنّعيم لقرب الحبيب الّذي يشعّ نوراً يضيء حياته كما يضيء القمر ظلمة اللّيالي، وكأنّ نور المحيا يزيل ظلمة اللّيل، فالمجاز المرسل ينمّ على البراعة في تخيّر العلاقة بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ، و"يقوم المجاز بدور رئيس في تأسيس جماليّة للخطاب الشّعريّ من خلال تلك التّنويعات اللّغويّة الّتي يحدثها عبر التّموّجات اللّغويّة" [16].

ويتابع قوله من القصيدة ذاتها:

كأنّما أُثبِتَتْ في صَحنِ وَجنَتِهِ زُهْرُ الكَوَاكِبِ تَعوِيذاً وَتَزْبِينَا[17]

يتغزّل الشّاعر هنا بجمال وجه محبوبته عن طريق المجاز المرسل بعلاقته الجزئيّة؛ فذكر الجزء (الوجنة) وأراد الوجه كلّه، شبّه إضاءة وجهها بإشعاع الكواكب شديدة الضّياء كأنّما وجهها فيه رقيّة من شدّة حسنه خوفاً عليه من العين.

وقال ابن زيدون أرجوزة في مدينة بطليوسي تعبّر عن شوقه إلى وطنه:

قَدْ مَلَأَ الشّوْقُ الحَشا نُدُوبَا في الغَرْبِ إذْ رُحْتُ به غَرِيبا

عَليلَ دَهْرٍ سَامَني تَعْذِيبَا أدْنى الضّنَى إذْ أبْعَدَ الطّبِيبَا[18]

لفحت نار الشّوق قلبَ الشّاعر، وخلّفت فيه آثار ندوب وجراح، فرأى كلّ ألوان العذاب وبات غريباً منكّلاً به، وغدا حاله كحال من أصابه المرض والهلاك، ولم يجد من يداويه، فالطّبيب الّذي يستطيع أن يعالجه هو محبوبته، فلا شفاء للمحبّ بغير حبيبه.

برز المجاز المرسل هنا بعلاقته المحلّيّة؛ إذ استخدم الشّاعر اللّفظ الدّال على المحلّ،

---

[16] الطّالب، هايل محمد، 2014م- حارس الحبق تجلّيات خطاب العشق في شعر توفيق أحمد. الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب- دمشق، ص197.

[17] سنده، عبد الله، ديوان ابن زيدون. ص14.

[18] المصدر السّابق نفسه، ص17.

أثبتت: جعلت. وجنته: خدّه. ندبة: أثر وبقايا الجراح. سامني: عذّبني. أدنى الضّنى: قرّب الهلاك.

وأراد ما يحلّ فيه؛ فالحشا ما انضمّت عليه الضّلوع، والقلب هو الّذي يحلّ في هذه الضّلوع.

ويمكن أن نقرأ الصّورة هنا أيضاً ضمن العلاقة المتعلّقة بالمكان وهي (المجاورة)؛ فالقلب هو المجاور للضّلوع، وفيه يقطن الشّوق وتستعر نار الوجد، فبين ثناياها يخبّئ الشّاعر ما يضمره من عواطف ومشاعر.

وقال أيضاً وهو في طرطوشة وهي مدينة بأقصى الشّرق من الأندلس:

غَرِيبٌ بأقصَى الشّرْقِ يَشْكُرُ للصَّبا: تحَمُّلَهَا مِنْهُ السّلامَ إلى الغَرْبِ

وَمَا ضَرَّ أنْفَاسَ الصَّبَا في احْتِمَالِهَا سَلامَ هَوى يُهْدِيهِ جِسْمٌ إلى قَلْبِ؟[19]

إنّ حال ابن زيدون عندما فقد محبوبته كحال الغريب؛ إذ لا شيء يواسيه إلّا تلك الرّيح الّتي تأتي من الشّرق حاملة معها عبق محبوبته وسلامها الّذي ينعش نفسه وروحه، فهو اعتبر نفسه الجسم الّذي يهدي الهوى إلى القلب؛ أي إلى من تسكن هذا القلب، والعلاقة هنا (محلّيّة)، وفيها ذكر الشّاعر القلب وهو المحلّ الّذي تحلّ به هذه المحبوبة.

كما نلحظ هنا علاقة المجاز المرسل (العموميّة)؛ وفيها يطلق الشّاعر الاسم العامّ ويريد الخاصّ؛ فكلمة (غريبٌ) جاءت نكرة، والنّكرة تدلّ على إطلاق الدّلالة وعدم تحديدها، ولكنّ الشّاعر أراد منها هنا التّحديد، فهذا الغريب هو الشّاعر الحبيب العاشق المعذّب.

وجاءت علاقة المجاز المرسل (العموميّة) أيضاً في قول الشّاعر:

يا غَزَالاً! أصَارَني مُوثَقاً في يَدِ المِحَنْ

إنّني مُذْ هجرْتَني لَمْ أذُقْ لَذّةَ الوَسنْ[20]

[19] سنده، عبد الله، ديوان ابن زيدون. ص20.
[20] المصدر السّابق نفسه، ص22.
الصّبا: ريح من الشّرق.

فهذا الغزال لفظ عامّ يفيد الإطلاق، ولكنّه في هذا السّياق أصبح دالّاً على مدول واحد وهو (المعشوقة) الّتي رحلت وتركت الشّاعر مكبّلاً بهمومه وأحزانه كالمسجون، وصيّرته يشتهي النّوم والرّقاد ولا يذوق طعمهما.

هذه حال العاشق الهائم المتيّم الّذي بدا لنا من خلال المجاز المرسل؛ فكان المعين للشّاعر في رسم هذه الصّور الّتي وُشيت بحلَلٍ بديعة.

وما يشغلنا هنا هو معرفة وسيلة التّحوّل وأثرها في تكوين الصّورة محوّلة الفكرة ذات الوجود الذّهني الّتي يعبّر عنها بلغة نثريّة بلاغيّة إلى هيئة مجسّدة بلاغيّاً، وفي الصّورة الكلّيّة تصبح كياناً مكتملاً يهيمن على بنية القصيدة الدّالّة على الفكرة، وهي في كلّ ذلك تخضع لسنن المجاز الّذي يعدّ من وسائل البيان[21].

فالمجاز المرسل يصوّر المعنى المراد خير تصوير؛ إذ يعبّر الشّاعر من خلاله عمّا في داخله بطرق مختلفة تتّسم بالإيجاز والاقتصاد في اللّفظ، كما يعتمد التّلميح من دون التّصريح، وهذه ميزة الكلام البليغ الّذي تتنوّع فيه المعاني والدّلالات لخدمة الأفكار والموضوع ضمن بناء هيكليّ متماسك ومنسجم.

ومن علاقات المجاز المرسل الكلّيّة والّتي وظّفها الشّاعر في الموشّح الّذي تذكّر فيه قرطبة ومجالس أنسه فيها:

سَقَى الغَيْثُ أَطْلالَ الأحبَّةِ بالحِمَى

وَحَاك عَلَيْهَا ثَوْب وَشْي مُنَمْنَمَا

إلى أن يقول:

فكَمْ ليَ فِيها مِنْ مَساءٍ وَإِصْباحِ

بكُلّ غَزَالٍ مُشْرِقِ الوَجْهِ وَضّاحِ

[21] يُنظر: الشّرع، فائز، 2004م- الصّورة الكلّيّة مفهوم وإنجاز. منشورات وزارة الثّقافة، دمشق، ص46.
الغيث: المطر. أطلال: منازل وربوع. ثوب وشي: ثوب مزخرف. منمنم: مرسوم.

يُقَدِّمُ أَفْوَاهَ الكُؤوسِ بتُفّاحِ

إذا طَلَعَتْ في رَاحِهِ أَنْجُمُ الرّاحِ

فإنّا لإعْظام المُدام قِيَامُ[22]

يدعو الشّاعر بالسّقيا لزمان الوصل، ويطلب من الغيث أن يجودَ لتخرج الأرض من بطونها أزهاراً ملوّنة كثوبٍ مزركش بألوان زاهية، تلفت النّظر لما فيها من حسن وجمال، ثمّ يتذكّر تلك الأيّام الّتي قضاها في قرطبة مع محبوبةٍ حسناء كالغزال، مشرقة الوجه، بهيّة المُحيّا، تضع فمها على الإبريق فترسم عليه حمرة من حمرة شفتيها كالتّفّاح فتشعل القلوب بحبّها، وأصابعها كالأنجم وهي تحمل الخمر؛ فهي مضيئة متوهّجة بها، ويقف كلّ من في المجلس احتراماً لإكرام كأس الخمر. هذه العلاقة الكلّيّة يذكر الشّاعر فيها الكلّ والمراد (الجزء)؛ فابن زيدون ذكر هنا الرّاح (الكفّ) وأراد صفة توهّج أصابعها كالنّجوم، والأصابع جزء من الكفّ.

ويتابع من القصيدة ذاتها قوله:

مَرَرْنَا بِرَوْضِ الأُقْحُوَانِ المُدَبَّجِ

وقَابَلَنا فيهِ نَسِيمُ البَنَفْسَجِ

وَلَاحَ لَنَا وَرْدٌ كَخَدٍّ مُضَرَّجِ[23]

إنّ الرّوض يزهو ببديع الألوان وهو المكان الّذي يحلو بوجود محبوبته؛ فريحها كريح البنفسج، وهي تمتلك خدّاً يحاكي الورد النّضر بحمرته وبرائحته العطرة.

وعلاقة المجاز المرسل هنا (المسبّبيّة)؛ فالشّاعر ذكر النّتيجة وهي رائحة البنفسج وأزهاره العطرة، الّتي تنتقل مع النّسيم، وأراد السّبب وهذا هو الشّيء المخالف؛ فهذه الأزهار

[22] سنده، عبدالله، ديوان ابن زيدون. ص31-33-34.
[23] المصدر السّابق نفسه، ص35.
المدبّج: المزيّن. مضرّج: مصبوغ بالحمرة.

اكتسبت تلك الرّائحة لوجود المحبوبة بينها؛ ويقوم النّسيم بدوره بحمل عبقها من مكان إلى لآخر ضمن هذه الرّوض، فتتجانس رائحتها مع روائح الأزهار الأخرى.

وقال يذكر ولّادة ويتشوّق إليها:

إنّي ذَكرْتُكِ بالزَّهْراء مُشْتاقَا وَالأفْقُ طَلقٌ وَمَرْأى الأرْض قد رَاقَا

وللنّسيمِ اعتِلالٌ في أصَائِلِهِ كأنّهُ رَقّ لي فاعْتلَّ إشْفاقَا[24]

يبدأ الشّاعر قصيدته بمناجاة حبيبته معلناً شوقه لها، وقد تضافر معه في اشتياقه إليها ما حوله من طبيعة، فهو كان في مدينة الزّهراء في وقتٍ كانت فيه السّماء صافية ووجه الأرض ضاحكاً، كما شاركه ذكرياته النّسيم وقت الغروب وفي هذا تجاوب مع حال الشّاعر؛ إذ بدا وكأنّه إنسان مريض يشاركه آلامه عندما لانَ ولطفَ ورقَّ. ظهرت هنا علاقة المجاز المرسل السّببيّة بقول الشّاعر: (وللنّسيم اعتلال)؛ فالنّسيم لانَ وضعف لأنّه تضامن في ذلك مع ما أصاب الشّاعر وما حلّ بجسده من سقم وضعف ومرض بسبب هجران المحبوبة له.

ثمّ يتابع ابن زيدون قوله من القصيدة ذاتها:

لا سَكَّنَ اللّه قلباً عَقَّ ذِكرَكُمُ فَلَم يَطِرْ بجَناحِ الشَّوقِ خَفّاقَا[25]

يدعو الشّاعر على قلبه بعدم الهدوء والاطمئنان إذا أغفل وتجاهل ذكرها ولم يطر شوقاً إليها، فالقلب الّذي لا ينبض حبّاً لولّادة حريٌّ به ألّا ينعم بالسّكون والرّاحة.

رسم الشّاعر هذه الصّورة واستخدم في رسمها المجاز المرسل بعلاقته الجزئيّة؛ فهو ذكر القلب ولكنّه قصد به القلب والجسم كلّه، فابن زيدون يدعو على قلبه بعدم السّكينة والطّمأنينة إذا لم يتذكّرها، ولأنّ القلب هو مركز الحياة للجسم بأكمله فأيّ ألم يصيبه يوهن الجسم ويضعفه، وبالتّالي ينتقل هذا الألم إلى سائر الأعضاء.

[24] سنده، عبد الله، ديوان ابن زيدون. ص51.
[25] المصدر السّابق نفسه، ص52.

والجدير بالذّكر هنا أنّ هذه المقدّمات كانت تحمل ملامح البيئة الأندلسيّة الّتي تتغلغل في عناصر وصف الطّبيعة، وكلّ ما فيها من زهر ونسيم فالشّاعر ابن بيئته؛ فهو يصف بروح أندلسيّة ملأى بالحنين والشّوق، فكان يمزج بين الورد والنّرجس والنّسيم...إلخ في مقدّماته مزيجاً بين العناصر المغربيّة والمشرقيّة[26].

وقال أيضاً يذكر ولّادة:

يا نازِحاً وَضَميرُ القَلْبِ مَثْوَاهُ أَنْسَتكَ دُنياكَ عَبداً أنتَ مَوْلاهُ

علَّ اللّيَاليَ تُبْقِيني إلى أَمَلٍ الدّهْرُ يَعْلَمُ والأيّامُ مَعْنَاهُ[27]

لقد هاجرت ولّادة المكان، ولكنّ ذكراها وحبّها بقيا في القلب، إذ آل القلب إلى مستقرّ لها، فتربّعت عرشه وأصبحت ملكته وسيّدتَه، وكانت هذه الذّكرى تبثّ الأمل في حياته ليحيا به. استخدم ابن زيدون علاقة المجاز المرسل (المسبّبيّة) فذكر النّتيجة وأراد السّبب، فالمحبوبة مكانها مضمر في نفسه وفي باطن قلبه، والسّبب في ذلك هو أنّه اخفى حبّها عن الورى، ولا يخفى هنا دلالة كلمة (ضمير)؛ فالضّمير شعور إنسانيّ باطنيّ في المرء يجعله يراقب سلوكه ويتحكّم بتوجيهه متّبعاً الخير ومبتعداً عن الشّرّ، وهذا ما يحمله ابن زيدون من مشاعر تجاه لمحبوبته.

إنّ استخدام الكلمات بأوضاعها القاموسيّة المتجمّدة لا ينتج الشّعريّة بل ينتجها الخروج بالكلمات عن طبيعتها الرّاسخة إلى طبيعة جديدة، وهذا الخروج هو خلق للفجوة (مسافة التّوتّر)[28]، وهذه الفجوة تجد تجسّدها في عدّة علاقات من علاقات المجاز المرسل، وتظهر العلاقة اللّغويّة المتواشجة بين الكلمة المصرّح بها وغير المصرّح بها من خلال علاقة المجاز المرسل (الآليّة)؛ فيذكر الآلة ولا يقصدها وإنّما يقصد أثرها أو ما ينتج عنها، وذلك في قول ابن زيدون:

سَأُحبُّ أعْدائي لأنّكَ منْهُمُ يامَنْ يُصِحّ بمُقْلَتَيهِ وَيُسقِمُ

---

[26] الموسى، فيروز، 2009م- قصيدة المديح الأندلسيّة. الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، ص449.
[27] سنده، عبد الله، ديوان ابن زيدون. ص52-53.
[28] أبو ديب، كمال، 1987م- في الشّعريّة. ط1، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، بيروت، ص38.

يَامَنْ تَآلَفَ لَيلُهُ ونَهَارُهُ فالحُسنُ بَيْنَهُمَا مُضِيءٌ مُظلمُ[29]

أحبّ الشّاعر أعداءَه؛ لأنّها تسكن بينهم، فهي المحبوبة الغالية الّتي يشفيه قربها ويسبّب له المرض بعدها، كما أنّ عينيها هي السّبب في ذلك والعلاقة هنا (الآليّة)؛ إذ إنّ المقصود منها هنا الأثر الّذي يحدثه النّظر إلى عيني المحبوبة؛ فالقرب منهما يداوي من أصابه السقم والمرض، والبعد عنهما يهلك.

ومثال على تسمية الشّيء باسم ما أوّل إليه (اعتبار ما سيكون) قول الشّاعر:

لمّا اتّصَلْتِ اتّصَالَ الخِلْبِ بالكبدِ ثمّ امتَزَجتِ الرّوح بالجَسدِ

ساءَ الوُشاةَ مكاني منكِ واتَّقَدَتْ في صَدْرِ كلّ عدُوٍ جَمرَةُ الحسدِ[30]

شبّه الشّاعر الوصل بينه وبين محبوبته باتصال القطعة اللّحميّة بالكبد، فروح كلّ منهما بجسد الآخر، وهذا ما أحزن الوشاة، فاشتعلت نار الحسد في صدورهم وأرادوا أن يُفسِدُوا الوُدَّ الثّابت بينهما.

استخدم الشّاعر كلمة (جمرة) ليشكّل من خلالها علاقة من علاقات المجاز المرسل؛ فقال: (اتّقدت في صدر كلّ عدوٍ جَمرَةُ الحسدِ) فالّذي يتّقد أوّلاً هو كلّ ما جفّ من زرعٍ وشجر وبه تُوقَدُ النّار؛ أي إنّ ابن زيدون ذكر ما سيؤول إليه الحطب وهو (الجمر)، والجمرة هي القطعة المُلتهبة من النّار وفي هذا كناية عن شدّة غلّهم وعداوتهم وحقدهم الكامن، جاء الشّاعر باللّفظ الّذي سيؤول إليه الشّيء لتصوير هذه الأحاسيس المفعمة بالحسرة.

وقال ابن زيدون يمدح الوزير محمد بن جهور:

شَهامَةُ نَفْسٍ في سَلامةِ مَذْهَبٍ كَما المَاءُ للرّاحِ الشُّمُولِ قِطابُ

حَططتم بحيثُ اسلَنطحتْ ساحةُ العلا وَأَوْفَتْ لأَخْطارِ السّناءِ هِضَابُ

---

[29] سنده، عبد الله، ديوان ابن زيدون. ص67.

[30] المصدر السّابق نفسه. ص67.

المقلة: العين كلّها. الخِلْب: قطعة لحميّة متّصلة بالكبد. الواشي: النّمّام. قطاب: مزاج.

بكُمْ باهَتِ الأرْضُ السّماءَ فأوْجُهٌ شُموسٌ وأيدٍ في المُحولِ سحابُ[31]

إنّ هذا الممدوح شهم النّفس، وفي طريقه سلامة فهو كالماء للشّراب، يتكاملان عند مزجهما، كما أنّ أهله استوطنوا أوسع ساحات العلا، ووصلوا إلى معالي الشّرف، وكانوا مدعاة لفخر النّاس بهم، فوجوههم مشرقة كالشّمس، وعطاياهم أيّام الشّدّة كأنّها مطر يروي الأرض العطشى، أسهمت علاقة المجاز المرسل (تسمية الشّيء باسم ما كان عليه) في توضيح المعنى المراد، فالسّحاب يتكوّن من تبخّر المياه، وهو الّذي يحمل المطر، ذكره الشّاعر وأراد المطر الّذي ينزل منه مصاحباً معه الخير، وهو في هذا يشبه كرم الممدوح أيّام القحط وهذا كناية عن الجود والعطاء.

أمّا علاقة المجاورة فهي أن نسمّي الشّيء بما يجاوره، وفيها تبرز الجماليّة الأدبيّة للمجاز المرسل ومثالها قول الشّاعر:

أنّ سِرّ الحُسْنِ مِمّا أضْمَرَتْ تِلْكَ الجيُوبُ[32]

فسرّ الحسن عند المحبوبة والشّاعر هو فيما أخفياه في نفسيهما من حبٍّ انعكس على وجه كلٍّ منهما فأصبح مشرقاً حسناً. إنّ المقصود بالجيوب هنا هو ما تحت الثّياب؛ أي هو ما في القلب والنّفس، وهما مجاوران للثّوب، ولّد المجاز المرسل هنا حسّاً فنّيّاً جماليّاً وشكّلت صوره لوحة فنّيّة زيّنت ديوان الشّاعر.

[31] سنده، عبد الله، ديوان ابن زيدون. ص125.
[32] المصدر السّابق نفسه، ص 70.
اسلنطحت: اتّسعت. أوفت: أشرفت. أخطار السّناء: معالي الشّرف.

النّتائج:

وهكذا نستخلص من كلّ ما تقدّم وبعد عرض النّماذج التّطبيقيّة:

1- إنّ المجاز المرسل من الوسائل الّتي حقّقت بلاغة في التّعبير، وهذا ما أضفى على قصائد ابن زيدون جمالاً فنّيّاً يثير المتعة في نفس المتلقّي.
2- لقد صلحت صور المجاز المرسل كمدخل لقراءة النّصّ الشّعريّ عند ابن زيدون، وهذا ما ساهم في الارتقاء بلغة نصّه وجعلها تمتاز بالشّعريّة، وتخدم الفكرة الرّئيسة في قصائده.
3- أكّد المجاز المرسل المعنى ووسّع دلالات الألفاظ، وهذا ما يحقّق الإيجاز وهو شرط من شروط البلاغة الّتي تعبّر عن المعنى الكثير بالكلام القليل.
4- أظهر البحث قدرة الشّاعر على عرض الموضوع مطوّعاً طاقات اللّغة ليرسم صوره الخلّاقة، وكانت هذه الصّور أداة فاعلة في التّشكيل الجماليّ لشعره.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم، عبّاس، 1994م- شرح ديوان أبي فراس الحمداني. ط1، دار الفكر العربيّ، بيروت.

2- ابن مالك، بدر الدّين، تح: يوسف، حسني، المصباح في المعاني والبيان والبديع. مكتبة الآداب.

3- أبو ديب، كمال، 1987م- في الشّعريّة. ط1، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، بيروت.

4- البسانيّ، كرم، 1951م_ شعر ابن زيدون. مكتبة صادر- بيروت.

5- السّبكي، بهاء الدّين، 2003م- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. تحق: د. هنداوي، عبد الحميد، ج2، ط1، المكتبة العصريّة- بيروت.

6- سنده، عبد الله، 2005م- ديوان ابن زيدون. ط1، دار المعرفة، بيروت.

7- الشّرع، فائز، 2004م- الصّورة الكلّيّة مفهوم وإنجاز. منشورات وزارة الثّقافة، دمشق.

8- الصّعيديّ، عبد المتعال، 1999م_ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. ج1، مكتبة الآداب، القاهرة.

9- الطّالب، هايل محمد، 2014م- حارس الحبق تجلّيات خطاب العشق في شعر توفيق أحمد. الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب- دمشق.

10- عتيق، عبد العزيز، 1985م_ في البلاغة العربيّة علم البيان. دار النّهضة العربيّة، بيروت.

11- قاسم، محمد_ ديب، محي الدّين، 2003م_ علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني). ط1، المؤسّسة الحديثة للكتاب، لبنان.

12- القزويني، الخطيب، 2003م- الإيضاح في علوم البلاغة. ط1، دار الكتب العلميّة- بيروت.

13- الموسى، فيروز، 2009م- قصيدة المديح الأندلسيّة. الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب.

Sourees and references:

1-Ibrahim, Abbas, 1994 AD- Explain Diwan Abi Feras

Al-Hamadani. Edition1, Arab thought house, Beirut.

2- Ibn Malek, Bader, Aldin, Th: Yousuf, Hosni, The lamp in the meanings and the statement and the good. Literature library.

3-Abu Deeb, Kamal, 1987 AD- In tha poetics, Edition 1, Arab Research Institute, Beirut.

4-Al-bostani Karam, 1951 AD- Poetry Ibn Zaydun, Issued library, Beirut.

5- AL- Sabky, Bahaa El Din, 2003 AD- The bride of wedding in the explanation summarize the key. Th: Hindawi Abdel Hamid, J 1, Edition 1, Modern library, Beirut.

6- Sandah, Abd Allah, 2005 AD- Diwan Ibn Zaydun. Edition 1, House of knowledge, Beirut.

7- Al_ sharia, Faez, 2004 AD- The overall picture concept and achievement. Publication of the Ministry of Culture, Damascus.

8- Al_Saidi, Abdul_Mutaal, 1999 AD- In order to clarify to summarize the key in the sciences of rhetoric, G1, literature library, Cairo.

9- Al- Taleb, Hayel Mohammad, 2014 AD- Throat guard manifestation of a speech of love in the poetry of Tawfiq Ahmed. The general Syrian experience of the book, Damascus.

10_Atiq, Abdel Aziz, 1985 AD- In Arabic rhetoric, the science of the statement,Arab renaissance house, Beirut.

11- Qassem, Muhammad_ Dib, Mohieldin, 2003 AD- The Sciences of Rhetoric (Al-Badi', Al-Bayan and Al-Ma'ani), Edition1, Modern Book Foundation, Lebanon.

12-Al-Qazwini, Al-Khatib, 2003 AD- Clarification in the Sciences of Rhetoric, Edition 1, Dar Al-Kutub scientific books house, Beirut.

13-Al_Mosaa, Fayrouz, 2009 AD- Andalusian praise poem, The general Syrian experience of the book.